محاضرات في الأنثروبولوجيا الدينية

الدكتور بلبشير محمد شعبة الأنثروبولوجيا – جامعة ابي بكر بلقايد – تلمسان

المحاضرة الثالثة والرابعة : الأسطورة والدين

الأسطورة: المصطلح والوظيفة.

تعتبر الأسطورة من أهم طواهر الثقافة الإنسانية عامة، قديما وحديثا، ندرك من خلالها الثابت والمتحول في المخيال الجماعي، الأمر الذي جعل العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، توليها جل اهتمامها، ومصدرا خصيبا من مصادر دراسة الشعوب والمجتمعات وتحليل رؤيتها للكون والمجتمع والإنسان ومعرفة مواقفها من القضايا الجوهرية التي شغلتها أو ماتزال تشغلها على اختلاف الزمان والمكان.

ولئن كان هناك اتفاق بين الدارسين للأساطير على أنها من نتاج الخيال البشري الخلاق، فإنهم يؤكدون أنها ليست مجرد وهم وأن لها علاقة بالواقع أو الحقيقة" بل إنه في نظر مبدعيها من الشعوب والأقوام عين الحقيقة[1]، ولذلك فإن الأساطير الأولين" هي دوما أساطير الآخرين وقلما تجد شعبا من الشعوب يقر بأن أساطيره يمكن أن تدرج في باب الأساطير[2]، بل تدرج ضمن أبواب شتى من كتب العقائد والملل والنحل وما إليها مما يتصل بوعي الإنسان وإدراكه لمنزلته في الكون والمجتمع.

فالأسطورة طريقة في التفكير الإسناني فعالة، بعض النظر عن التقدم الفكري والعلمي، حين ينوي الإنسان أن يتحدث عن وجوده من وجهة نظر المعن، إنما هو مضطر إلى الاستعانة بأسلوب ينطبع بطابع أسطوري، ويؤكد كولكوفسكي هذا بقوله: "إذا أراد الإنسان المعاصر أن يعيش حياة إنسانية حقيقية، فلابد له من التمتع بتراث من الرموز والصور الأسطورية إلى جانب المنحى العقلاني في التفكير. فلن نكون هناك ثقافة إنسانية ولا حضارة إنسانية حديثة إلا نتيجة لتعاون هذين المنحيين الفكريين وهما العقلانية النقدية والأسطورة"[3].

---

(1) مرسيا إلياذ، مظاهر الأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 191م، ص 09.

(2) عجيبة محمد، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالتها، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1/ 194م، ج1، ص 09.

(3) نقلا عن روبير بندكتي، التراث الإنساني في التراث الكتابي دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 190، ص 131.

وبناء عليه نتساءل عن ماهية الأسطورة؟ وما الاتجاه الأتروبولوجي لتفسير أصل الأسطورة؟ وما أسطورة الخلق وعلاقتها بالدين؟

مفهوم الأسطورة:

1- لغة: تفيدنا المعاجم العربية، بأن كلمة أسطورة جاءت من السطر وهو الخط أو الكتابة، وجمعه أسطار كما هو الحال في سبب وأسباب، وجمع أساطير، وأسطيرة وأسطور وسطورة بالضم.

أما التسطير فيعن التأليف وسطر علينا أتانا بالأساطير، وقال الليث: سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بالأحاديث التي تشبه الباطل، ويقال هو يسطر ما لا أصل له أي يؤلفه[4]، وأيضا يقال سطر فلان على فلان إذ انحرف له الأقاويل ونمقها وهذه الأقاويل هي الأساطير والسطر، وعند الأزهري هي حديث وأحدوثة[5].

وتظهر كلمة "أساطير" في القرآن الكريم شائعة الاستعمال، حيث تكررت زهاء تسع مرات[6]، حكاية عن كفار قريش حين رفضوا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من رسالة سماوية، مثل قوله تعالى: "إذا تتلى عليه وآيتنا قال أساطير الأولين" (سورة القلم: الآية 14-15) إذا تقرأ عليه الآيات قال: هذا مما كتبه الأولون استهزء بالرسول صلى الله عليه وسلم وإنكارا منه أن يكون ذلك من عند الله[7].

أما لفظة Mythos أو Myth الإغريقية فتعني الكلمة المنطوقة ولي أي كلمة بل هي الكلمة ذات الشكل الخاص والوظيفة الخاصة كلمة ذات وظيفة سحرية، ولهذا فإن المجال لها يكون مجالا مليئا بالمشاعر التي تطفو فوق العقل[8].

---

(4) يراجع، ابن منظور، لسان العرب، دراسات العرب، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، مادة: سطر.

(5) ينظر، ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979، مادة سطر.

(6) ينظر، عبد الباقي محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، المكتبة الإسلامية، دار الخياط، بيروت، لبنان، د.ت، مادة سطر.

(7) الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، مطبعة البابلي الحلبي، القاهرة، مصر، د.ط، 1373 هـ / 1954م، ج 29، ص27-28.

(8) عبد المنعم نبيلة، الأسطورة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1979م، ص 3-6.

أما لفظة ميثولوجيا Mythology فتتكون من قصمين الأول: مأخوذ من الكلمة اليونانية Mytho والتي تعني الحكاية التقليدية عن الآلهة، والأبطال[9]، أما القسم الثاني من الكلمة فهو Logy ونعني العلم، ومن جمع الكلمتين تتكون Mythology هو العلم المختص بدراسة الأساطير التي يتداولها الناس[10].

وبالتالي فمصطلح الميثولوجيا يسير إلى شيئين: أولها دراسة الأسطورة ذاتها، وثانيهما مجموع الأساطير التي تميز حصارة ما كالميثولوجيا، المصرية أو اليونانة أو البابلية وما إلى ذلك[11]، ويذكر "إرنست كاسيرر: بأن مصطلح "الميثولوجيا يقصد به علم أشكال التصور الديني"[12].

وقد ظن بعض الباحثين أن كلمة أسطورة مقتبسة من اللغة اليونانية، بقول وديع بشور: "وكلمة "أسطورة" العربية مقتبسة من كلمة "إيستوريا" Historia اليونانية وتعني حكاية أو قصة، إلا أن كلمة أسطورة تعني حكاية غير حقيقية أو على عكس الحقيقة، بينما الكلمة ذاتها Historia تعني تاريخ[13].

فهل الكلمة حديثة لم يعثر لها على أصل في معاجم اللغة العربية حتى يقال عنها أنها يونانية، لهذا نرفض هذا الاشتقاق ونعده بعيدا عن الصحة للأسباب التالية:

تبنت اللغة العربية، في ميادين تداولها المختلفة، مفردة "أسطورة" للدلالة على المفهوم الذي يصطلح عليه في اللغة اليونانية بمفردة Mythos، وقد دخلت المفردة اليونانية في اللغات الأوروبية الحديثة وعرفت استخدامات اصطلاحية، متباينة تباين الاتجاهات

---

(9) زكي عزت، الموت والخلود في الأديان القديمة، دار الجيل للطباعة، القاهرة، مصر، 172م، ص 106.

(10) The oxford english dictionary, oxford, 1993, vol v1, p 818.

(11) ماكس س، شابير وورودأ، هندريكس، معجم الأساطير، ترجمة حنا عبود، دار الكندي للترجمة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1989م، ص7.

(12) Cassier, ernest : language and Myth, translated from german dy suasnne k, langer, dover publications, Inc, U.S.A, 1946, p 15.

(13) وديع بشور، الميثولوجيا السورية أساطير رام.

محمد فوزي المهاجر، طبيعة العلاقة بين الأسطورة والدين، مقال بمجلة التنوير، يصدرها المعهد العالي لأصول الدين، جامعة الزيتونة، بتونس، ع 11، سنة 1430 هـ / 2008 – 2009م، ص 355.

الفلسفية والمدارس العلمية، إن مفردة "أسطورة" واعتمادها معادلا تعيينيا لمفردة Mythos تطرحان مسائل دقيقة تختص بقضية الترجمة وتتخطاها في آن.

لا تترجم الكلمة العربية الكلمة اليونانية ترجمة دقيقة، إذ أن حقليهما الدلاليين لا يتطابقان فالحقل الدلالي لكلمة "أسطورة" في المعاجم العربية كما رأينا ينتمي إلى المضمار المعرفي الذي حملته اللغة العربية، الفصحى في مرحلتها الكلاسيكية.

فالكلمة عربية الأصل وجذرها من الفعل الثلاثي "سطر" وباعتبار أن لكل كلمة مشتقة في العربية، جانبان الأول مادتها والثاني صيغتها أو وزنها، فمادة كلمة "أسطورة" تقوم على جذر يدل على المعنى العام الذي يجمع بين سائر المشتقات منه أما وزنها: فمن أوزان اللغة العربية فأسطورة على وزن " أفعولة" كأحدوثة وألعوبة وغيرها، وجمعها "أساطير" على وزن "أفاعيل" كأحاديث وألاعيب، وهذا ما يؤكد أن كلمة أسطورة هي أحد اشتقاقات الجذر الثلاثي (س ط ر) على وزن أفعولة، ما يعني أن الرأي المذكور سابقا قلب الحقيقة تماما، وهو من آثار فرض آراء الغربيين وتفسيراتهم على تراثنا وتاريخنا[14].

أما إذا اطلعنا على المعطيات المعجمية الواردة في قاموس "كنوز اللغة اليونانية[15]، تحوي مفردة Mythos العناصر الدلالية التالية:

- كلمة، حديث، خطاب
- الشيء أو الموضوع الذي تدل عليه الكلمة أو يتناول الخطاب.
- رواية، قصة، أخبار.
- رواية أو قصة غير تاريخية تتناول أخبار الآلهة أو الأبطال والجبابرة وما شبه ذلك، وذرواية / قصة خيالية.

يتضح من هذه المعطيات المعجمة ما يلي:

---

[14] يراجع، اللسان العربي، بعد فطري وارتباط كوني، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، البحرين، ط1، 2005.

[15] قاموس كنوز اللغة اليونانية، مع الترجمة العربية، مكتبة أسقفية الشباب، القاهرة، مصر، ط2، 1991م.

تعني المفردة اليونانية mythos أولا عملية الخطاب أو الكلام الملفوظ بشطريه اللغوي (كلمة / خطاب)، والموضوع (الشيء / الموضوع المدلول عليه)، وكذلك على اختلاف أنواعه (رواية واقعية وخيالية، حوار فلسفي).

وعليه يمكننا القول إن حقل كلمة "أسطورة" في اللغة العربية واسع فيستوعب النواحي الرئيسية لما يشتمل عليه معنى الخطاب و/أو الكلام الملفوظ.

كما يتبين من المعطيات المعجمية أن المفردة العربية "أسطورة" من حيث إنشاء حقلها الدلالي الأصلي، لا تستوعب سوى قطاع يسير من الحقل الدلالي للمفردة اليونانية mythos ومشتقاتها الأوروبية الحديثة[16]: ذلك القطاع الذي يتعلق بمعنى "الرواية الخيالية"، إلا أن المفردة العربية لا تطابق معنى المفردة اليونانية حتى في هذا المجال من حقلها الدلالي إذ أنها تضفي عليه معنى "أكاذيب" وهو ما لا يتضمنه القطاع الدلالي "رواية خيالية".

الأسطورة: وعي المصطلح.

أثارت قضية مصطلح "أسطورة" أراء وتصورات وتفسيرات كثيرة بين الباحثين، وذلك حسب نزعات المفكرين واختلاف الجوانب التي يهتمون بها في دراسة الأسطورة وتاريخ الأديان والحضارة.

لهذا يذكر ميرسيا إلياذ أنه من الصعب إيجاد تعريف للأسطورة، يقبله جمع العلماء والباحثين، ويكون في الوقت ذاته في متناول الباحثين، فالأسطورة واقعة ثقافية شديدة التعقيد، يمكن مباشرتها وتفسيرها من منظورات متعددة يكمل بعضها بعضا[17].

وحينما أراد القديس أوغسطين أن يفصح عن ماهية الأسطورة قال: "إنني أعرف جيدا ما هي الأسطورة، بشرط ألا يسألني أحد عنها، ولكن إذا ما سئلت وأردت الجواب، فسوف يعتريني التلكؤ"[18].

---

[16] يراجع ريير بندكتني، المرجع السابق، ص 133.

[17] ميرسيا إلياذ، المرجع السابق، ص 9.

[18] رانفين ك.ك، الأسطورة، ترجمة جعفر صادق الخليلي، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 181م، ص 9.

وبناء عليه فإن الأسطورة واقع ثقافي معقد للغاية، قابل لأن يتناول ويؤول من منظورات متعددة ومتباينة، ففهم بنية ووظيفة الأسطورة لا يعني فقط تبيان مرحلة معينة في تاريخ الفكر البشري، وإنما يعني أيضا فهما أفضل لتشابك التصورات الوهمية لدى الإنسان المعاصر مع نشاطه العقلاني المعقد، من حيث أن الأسطورة لا تزال تقدم وتبرر كل سلوك ونشاط الإنسان وتمنح من خلال ذلك معن وقيمة للوجود.

لذا فالسؤال ما الأسطورة؟ للإجابة على السؤال نجد آراء وتفسيرات مختلفة لمصطلح الأسطورة نذكر منها ما يلي:

جاء في معجم الأثنولوجيا والأنثروبولوجيا بأن "الأساطير هي قص تأسيسية يتناقلها أعضاء مجتمع من جيل إلى جيل منذ أقدم العصور، وهكذا فهي تتميز كليا عن سائرل النصوص المرتبطة بها ارتباطا وثيقا والتي تتقاطع فيها سلاسل من الألفاظ والتراكيب المتفرعة عن السرد، على غرار التعزيمات الشامانية أو التراتيل الطقوسية"[19].

ويعرف كاميل الأسطورة بأنها: "مجموعة من القوى تخص جسدك وطبيعتك، والأساطير ليست سوى صيغة مجازية لقوى روحية كامنة في الوجود البشري. وهي تبعث الحياة فينا كما في العالم"[20].

ويذهب روبرتسن سميت إلى أن الأسطورة "ما هي إلا تفسير للعرف الديني، وما كان هذا التفسير لينشأ إلا حين يوسك المعني الأصلي للعرف في دائرة النسيان، ومن المسلم به أن الأسطورة ليست تفسير لأصل الشعيرة الدينية بالنسبة لمن يؤمن بأنها رواية لبعض الأحداث الحقيقية، وهو ما لا يؤمن به أي عالم من علماء الأساطير مها بلعت جراءته، ولكن رغم أن الأسطورة غير حقيقية، إلا أنها تحتاج إلى تفسير، وكل مبدأ فلسفي وكل مسلمة من المسلمات تتطلب الحث عن التفسير لها، وهو ما يتم إلا

---

(19) معجم الأثنولوجيا والأنتروبولوجيا، ترجمة وإشراف، مصباح الصمد، بياربونت، وميشال إيزار وآخرون.
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008م، مادة أسطورة.

(20) كاميل جوزيف، قوة الأسطورة، ترجمة حسن صفر، دار الكلمة، سوريا، 1999/ ص 48.

بنظريات تشبيهية متعسفة، بل بالحقائق الواقعية للشعيرة أو العرف الديني الذي تلتصق به الأسطورة، بل الشعيرة الدينية والعرف الموروث[21].

فيما يذهب مالينوفسكي إلى أن "الأسطورة إذا درست وهي حية فعالة، فإنها لا تكون تفسيرا يتطلبه إشباع الولع بالعلم، وإنما هي بعث روائي لحقيقية أزلية، يروى لإشباع رغبات دينية عميقة وحاجات أخلاقية ومتطلبات اجتماعية واحتياجات عملية"[22].

فدور الأسطورة عند مالينوفسكي لا يتمثل في تفسير الطواهر الطبيعية أو في الإجابة عن فضول علمي أو فلسفي أو غيره بقدر ما يتمثل في إرساء دعائم المعتقدات والممارسات المشكلة لأسس التنظيم الاجتماعي، لهذا يرى أن "الأسطورة في حقيقتها ليست تعبيرا تافها ولا تدفقا عشوائيا لخيالات عقيمة، ولكنها قوى ثقافية هامة تشكلت بصورة محكمة"[23].

وعد لالاند في موسوعته الفلسفية الأسطورة بأنها: "حكاية خرافية، شعبية الأصل وغير متروية، يكون أبطالها غير شخصيون وعدت فكرة أو مذهبا مطروحا في صورة شعرية وروائية وفيها يختلط الخيال مع الحقائق الكامنة ..." [24].

ويرى شلنج أن "الأساطير عمل لا واع جماعي ضروري ينبثق عن الغريزة القومية تلقائيا، كما أنها تعبير عن الشعور الجماعي"[25].

كما تبدو الأسطورة عند البعض على أنها: "قصص شعبية أعيدت صياغتها لكي تستوعب عناصر المعتقد الديني"[26]، أو أنها "قصص لها أصل تاريخي لكن لم

---

[21] روبرتسن سميت، محاضرات في ديانة الساميين، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 1997، ص 15.

[22] برنسلا ومالينوفسكي، السحر والعلم والدين عند الشعوب البدائية، ترجمة وتحقيق/ فيليب عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1995م، ص 180.

[23] المرجع نفسه، ص 100.

[24] أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 20، 2001م، المجلد 2، ص 850-851.

[25] نقلا عن عبد الرحمن البدوي، شلنج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1989م، ص 384.

[26] أحمد كمال زكي، الأساطير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1985م، ص 35.

تحافظ على نقاوة هذا الأصل، بل غلب عليها عنصر الخيال"[27]. أو أنها: "رغبة أو محاولة الإنسان في أن يجعل من العالم شكلا يمكن السيطرة عليه من خلال عملية التخيل"[28].

واعتقد فريدريش كرويتسر أن "الأساطير ليست سوى رموز أنشئت في عصر سحيق، وقصد بها في الأصل الدلالة على عقائد فلسفية وأفكار أخلاقية، ثم ضاعت معاني الرموز ونمت الأساطير في أشكال تاريخية"[29].

وبالتالي فالأسطورة عند هي "مجموعة من العناصر الرمزية تتضمنها قصة لا عقلية أشبه بالحلم أو أشبه بحكامة من حكايات الجن.

وهنا يتحدد معنى الأسطورة في واحد من اثنين: إنا شرح ما يعجز عن تعليله أو إدراكه كأصل العالم وأصل الموت، أو الاعتراف الجازم والإيمان اليقيني بقدرة الكلمات التي تتضمنها الأسطورة كحقيقة في ذاتها منفصلة عن السياق الاجتماعي الذي ولدت منه، ويتحدد بالتالي معناها من خلال عناصرها الرموزية وحدها[30].

وتعرفها نبيلة إبراهيم بأنها: "محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة أو هي تفسير له" وأنها: "وسيلة حاول الإنسان عن طريقها أن يضفي على تجربته طابعا فكريا، وأن يخلع على حقائق الحياة العادية معنى فلسفيا"[31].

أما كلورد لفني ستروس لا يقر الرأي الذي يعتبر الأساطير هذيانا أو تخريفا لا يصدر إلا عن مصابين في مشاعرهم أو في قدراتهم العقلية بل ويلاحظ أنها في واقع الحال، ضرب من التقنية العلاجية التي لا تخلو من حنكة ومن رهافة حس[32].

---

[27] علي جواد المفصل، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ط2، 1976م، ج8، ص 373.

[28] علي فاضل عبد الواحد، سومر أسطورة وملحمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط2، 2000م، ص 87.

[29] عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص 369 وما بعدها.

[30] الجزيري محمد مجدي، الأسطورة والتجديد، منطلقات عامة في دراسة الأسطورة، مقال بمجلة فكر للدراسات والأبحاث، القاهرة، مصر، العدد 15، نوفمبر 1989، ص 65-66.

[31] نبيلة ابراهيم، اشكال التعبير في الأدب الشعبي، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، ط3، 189م، ص 17-18.

[32] ليغي ستروس، الأنثروبولوجية البنيوية، ترجمة، مصطفى صالح، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1977، ص 245.

فيما يذهب محمد خان إلى أنها: "عبارة عن تفسير علاقة الإنسان بالكائنات وهذا التفسير هو أراء الإنسان فيما يشاهد حوله في حالة البداوة"[33].

ويرى أحمد كمال زكي أن "الأساطير علم قديم، وهو أقدم مصدر لجميع المعارف الإنسانية، لذا فإن الكلمة ترتبط دائما ببداية الناس"[34].

وحسب ميرسيا إلياذ فإن الأسطورة هي "سرد لحكاية "خلق" تحكي لنا كيف كان إنتاج شيء ما، وكيف بدأ وجوده، وكيف ظهرت حقيقة ما إلى الوجود[35]. أو هي "تاريخ حقيقي وقع في بداية الزمان ويستعمل نموذجا للمسالك البشرية"[36].

كما أكد ميرسيا إلياذ أن الأسطورة "تحكي عن التاريخ الديني"[37]. و"تروي تاريخا مقدسا، إنها تخبر عن حدث وقع في الزمن الأول، زمن البدايات العجيبة"[38].

يبدو أن ميرسيا لا يجعل في تعريفه للأسطورة الآلهة أو أنصاف الآلهة، الأشخاص الوحيدين في الدراما الأسطورية، بل يقيم علاقة ترابط بين الدراما الأسطورية، والسلوك الطقسي للإنسان.

وإذا نظرنا إلى أحدث تعريف للأسطورة، لعلنا نجد تعريف فراس السواح، حيث يقول إن الأسطورة هي "التفكير في القوى البدائية الفاعلة الغائبة وراء هذا المظهر المتبدي للعالم، وكيفية عملها وتأثيرها، وترابط مع عالمنا وحياتنا، وهي الإطار الأسبق والأداة للتفكير الإسناني المبدع الخلاق، الذي قادنا على طول الجادة الشاقة التي انتهت بالعلوم الحديثة[39].

---

(33) محمد عبد المعين خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1937م، ص 11.

(34) أحمد كمال زكي، المرجع السابق، ص 44.

(35) ميرسيا إلياذ، مظاهرة الأسطورة، المرجع السابق، ص 10.

(36) المرجع نفسه، ص 10.

وميرسيا إلياذ، المقدس والعادي، ترجمة، عادل العوا، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2009م، ص 126.

(37) ميرسيا إلياذ، مظاهر الأسطورة، المرجع السابق، ص 10.

(38) ميرسيا إلياذ، ملامح من الأسطورة، ترجمة: حسيب ماسوجة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 1995م، ص 5.

(39) فراس السواح، مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط 13، 2002م، ص 11.

ويدقق أكثر في موضع آخر بقوله: "إن الأسطورة هي حكاية مقدسة، ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان"[40].

من هذا التعريف يمكننا أن نستنتج المعايير الدقيقة للأسطورة منها:

– تحكي الأسطورة تاريخا مقدسا، بل هي التاريخ المقدس نفسه، كما تجري أحداثها في زمن مقدس هو غير الزمن الحالي، ومع ذلك فإن مضامينها أكثر صدقا وحقيقة بالنسبة للمؤمن من مضامين الروايات التاريخية.

– تروي الأسطورة لنا كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود.

– تصف لنا الأسطورة مختلف تفجرات القدسي في العالم.

– تكمن وظيفة الأسطورة في تثبيت النماذج المثالية لجميع الطقوس والفعاليات البشرية العامة.

– ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه، وهي تفقد كل مقوماته كأسطورة إذا انهار هذا النظام الديني، وتتحول إلى حكاية دنيوية تنتم إلى نوع آخر من الأنواع الشبيهة بالأسطورة

– الأسطورة هي دائما رواية "خلق": تروي كيف حدث شيء ما؟ كيف بدأ يتكون؟ وهذا ما يبين لنا لماذا تتحد الأساطير مع الأنطولوجيا، لا تتكلم إلا عن الحقائق، عما يحدث حقيقة، عما يتجلى بكل امتلأته، فالمقدس هو الحقيقي بامتياز[41].

فالأسطورة تركز وتلح على ماضي البشرية وحضارتها، لأنها في أساسها ليست إلا ماضي البشرية، ولكنه ماض مقدس يلعب دوره في حاضر البشرية.

ومما سبق يمكننا القول إن تعدد تعاريف الأسطورة يترجم اختلافا حول ماهيتها كظاهرة ثقافية، كما يعبر في نفس الوقت، عن اهتمام متزايد بهذه الظاهرة التي شغلت المفكرين والدراسين من نواحي عدة كما تؤكد الموسوعة العالمية: "يهتم بالأسطورة، في عصرنا، كل العلماء الإنسانيين كعلماء الأنتروبولوجيا، وعلماء الاجتماع، والثقافانيين،

---

[40] فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط2، 2001م، ص 14.

[41] ميرسيا إلياذ، رمزية الطقس والأسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دار العربي، دمشق، سوريا، 1987، ص 92.

والفولكلوريين، ومؤرخي الأديان، ومؤرخي الأفكار، والحقوقيين، والاقتصاديين، وعلماء الآثار، وعلماء الكلام، واللسانيين، وعلماء النفس، والمحللين النفسانيين والفلاسفة".

فتعدد تعاريف الأسطورة، تسببه تباين منطلقات الدرس الأسطوري وغاياته ووسائله وتداول المصطلح في مختلف مجالات العلوم، أي صلته بما يسمى "الحضور الكلي" في المعرفة، أو الدراسات البينية الرائدة، التي يتم بموجبها الإجابة على بعض الأسئلة أو حل بعض المشاكل، أو معالجة موضوع واسع جدا أو معقدة جدا يصعب التعامل معه بشكل كاف عن طريق حقل معرفي واحد.

إن السمتين المميزتن لمجمل مفاهيم الأسطورة سمة التعدد والتباين قد تخيب أملنا في الوصول إلى نوع من التعريف للأسطورة الذي يمكن تسميته "التعريف المختار" والمقصود به الجمع بين عناصر مختلف التعريفات المقترحة، ودمجها في إطار تعريف عام للمصطلح المعني.

لكن رغم هذا وذلك، ثمة قاسما مشتركا يجمع بينها التعاريف المقدمة، هو أن الأسطورة "حكاية مقدسة".

ومن ثم نستطيع القول إن الأسطورة هي حكاية مقدسة تلخص الخطابات الرمزية لكل مجتمع لمحاولة تفسير الكون والطبيعة وتبدلاتها".

الأسطورة والدين:

هناك تعريفات عديدة للدين أثارها العلماء توضح مفهوم الدين من حيث طبيعته وغايته، مصدره وأهميته ولعل ليس من الضروري أن نوضح هذا[42]، لكن ما يهمنا في هذا الموضوع أن علماء الأنثروبولوجيا حين يتحدثون عن الدين، فإنما يتحدثون عنه من خلال أنماطه السلوكية وسماته الثقافية ونظمه البنائية في مجتمع م أي باعتباره فرعا من الثقافة، يطور به الإنسان أنماطا معينة من السلوك يواجه بشكل أو بآخر ما هو غير متوقع أي في ضمير الغيب. وبهذا يتخذ من الدين مجالا لتحديد علاقته بالكون الذي يعيش فيه، وبهذا يصبح الدين جزءا من كل ثقافي لأنه لا توجد ثقافة ما حقق

---

(42) للتوسع حول مفهوم الدين يمكن الرجوع إلى دراز محمد عبد الله، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت.

فيها الإنسان يقينا كاملا في مجال علاقاته الاجتماعية أو متطلباته التكنولوجية التي صنعها، مما يجعل الإنسان في حاجة ماسة إلى الدين ليكمل به تلك الثقافة التي لا يرى فيها الإجابة الكاملة عن تساؤلاته العديدة عن سر الكون والحياة والخلق وما بعد الحياة أو ما وراء الطبيعة، وبهذا يصبح الدين جزءا أساسيا في كل ثقافة[43].

فالدين ينظر إليه كظاهرة ثقافية، اجتماعية موجهة نحو المقدس أو ما هو فوق الطبيعي وينعكس ذلك على نسق من اعتقادات وممارسات المنتمين إليه، وهذا حسب ما يمليه على اتباعه وفي العادة تتمثل هذه الإملاءات على هيئة نصوص أو أقوال يضفي عليها أصحاب الديانة صفة القداسة ويؤمنون بصحتها إيمانا مطلقا لا يقبل النقاش، وتتضمن هذه النصوص ردودا على كافة الأسئلة التي تحير الإنسان ولا يجد إجابة لها وتقدم له توجيهات وأوامر صارمة لما ينبغي عليه القيام به من أفعال

ومن خلال تفسير واستجابة المنتمين للدين ولما يشعرون به أنه مقدس وفوق طبيعي، وبأنها حقيقة، يختلط عليهم الأمر فيتم التعبير أحيانا بالتصورات التي جاءت في الأساطير والتي أنتجتها مخيلة الإنسان في مرحلة طفولته المعرفية "حتى غدت مؤثرا حضاريا فعالا، سمح بظهور العديد من أشكال العبادات المختلفة"[44].

وعلى هذا الأساس يتداخل الدين والأسطورة ومع ذلك فإنه على الرغم من هذا التداخل الذي يتعذر فصله، يبدو محتوى الأسطورة، ومحتوى الدين بعيدين عن التماثل والتطابق.

فالفكر الأسطوري أهاب بالرموز دون أن يعي قيمتها الرمزية، منسقا في ذلك مع طبيعة أساسية فيه، من شأنها أن توجد بين الوجود والمعنى، أما الدين فقد وظف الأسطورة توضيفا واعيا وأحال في توظيفها إلى ما تنطوي عليه من قيم رمزية[45].

---

(43) يراجع بيلزر الفه وهو يجر هاري، مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة، ترجمة محمد محمود الجوهري، والسيد الحسيني وميخائيل أسعد، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط1، 1977، ص 585.

بولس الخوري، في فلسفة الدين، دار الهاري بيروت، لبنان، 002م، ص 69 وما بعدها.

(44) ماكس شايبرو، رودا هندريكس، معجم الأساطير، ترجمة حنا عبود، دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط1، 199م، ص 8.

(45) للتوسع حول الأسطورة والدين يراجع:

عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 178م، ص 31 وما بعدها.

فالأسطورة ليست هـ الدين، وإنما هي عامل مساعد، يساعد على حفظه، الدين والأسطورة نظامين مستقلين ومتقاطعين في نفس الوقت كما يذكر فراس السواح[46]، إذ كثيرا ما يحكي الشعائر أحداث أسطورة، وتشرح الأسطورة بمنطق العقل البدائي وظواهر الكون والطبيعة، والعادات الاجتماعية، كما تعتبر الأسطورة جزء هام من الظاهرة الدينية، تلك الظاهرة التي لا تعرف إلا من خلال وجود عناصرها الثلاثة مجتمعة وهي: المعتمد والطقس، والأسطورة، والتي يسميها فراس السواح بالمكونات الأساسية للدين[47].

كارم محمود عزيز، أساطير العالم القديم، مكتبة النافذة، القاهرة، مصر، ط1، 2007م، ص 95-97.

(46) فراس السواح، الدين والأسطورة كنظامين مستقلين ومتقاطعين، مقال بمجلة الموقف الأدبي، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد 264، 193م، ص 32.

(47) فراس السواح، دين انسان، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط3، 1998م، ص 47 وما بعدها.